[148] وإياهم يستعين، وعلى ألسنتهم ينطق، إن رجوا طمعا أو جفوا (1)، وإن استغنى عنهم أرجفوا (2) ثم يلحقون الفتن بالفجور، ويشققون لها حطب النفاق، عيابون مرتابون، إن ولوا عروة أمر حنقوا، وإن دعوا إلى غي أسرفوا، وليسوا أولئك بمنتهين ولا بمقلعين ولا متعظين، حتى تصيبهم صواعق خزى وبيل، وتحل بهم قوارع أمر جليل، تجتث أصولهم كاجتثات أصول الفقع (3)، فأولى لاولئك ثم أولى، فإنا قد قدمنا وأنذرنا إن أغنى التقديم شيئا أو نفع النذير. قال: فدعا معاوية الضحاك فولاه الكوفة، ودعا عبد الرحمن فولاه الجزيرة، ثم قام أبو خنيف فقال: يا أمير المؤمنين، إنا لا نطيق ألسنة مضر وخطبها، أنت يا أمير المؤمنين، فإن هلكت فيزيد بعدك، فمن أبى فهذا، وسل سيفه، فقال معاوية: أنت أخطب القوم وأكرمهم. ثم قام الاحنف بن قيس، فقال: يا أمير المؤمنين، أنت أعلمنا بليله ونهاره، وبسره وعلانيته فإن كنت تعلم أنه خير لك فوله واستخلفه، وإن كنت تعلم أنه شر لك، فلا تزوده الدنيا وأنت صائر إلى الآخره، فإنه ليس لك من الآخرة إلا ما طاب، واعلم أنه لا حجة لك عند ا إن قدمت يزيد على الحسن والحسين، وأنت تعلم من هما، وإلى ما هما، وإنما علينا أن نقول: (سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير). قدوم معاية المدينة وما خاوض فيه العبادلة قال: قالوا: فاستخار ا معاوية، وأعرض عن ذكر البيعة، حتى قدم المدينة سنة خمسين، فتلقاه الناس، فلما استقر في منزله أرسل إلى عبد ا بن عباس، وعبد ا بن جعفر بن أبي طالب وإلى عبد ا بن عمر، وإلى عبد ا بن الزبير، وأمر حاجبه أن لا يأذن لاحد من الناس حتى يخرج هؤلاء النفر، فلما جلسوا تكلم معاوية، فقال: الحمد الذي أمرنا بحمده، ووعدنا عليه ثوابه، نحمده كثيرا، كما أنعم علينا كثيرا، وأشهد أن لا إله إلا ا وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله. أما بعد، فإني قد كبر سني، ووهن عظمي، وقرب أجلى، وأوشكت أن أدعى فأجيب، وقد رأيت أن أستخلف عليكم بعدي يزيد، ورأيته لكم رضا، وأنتم عبادلة قريش وخيارها، وأبناء خيارها، ولم يمنعني أن أحضر حسنا وحسينا إلا أنهما أولاد أبيهما علي على حسن رأيى فيهما، وشديد محبتي لهما، فردوا على أمير المؤمنين خيرا رحمكم ا.

_____

(1) أوجفوا: أسرعوا. (2) أرجفوا: أثاروا الشائعات. (3) أصول الفقع: أصول الكمأة الرخوة واستئصالها سهل، يريد أن الذي يعصييهم يجتث أصولهم بسهولة كما تجتث أصول الكمأة الرخوة. (*)